



الولايات المتحدة تفرض مشروعها كأمر واقع. وفرضت نفوذها وتمددها في المنطقة كذلك.... وداعش تصوّل وتتجول وتعربد في المنطقة..... إيران ومن يشايعها يتمددون في المنطقة بضمونها بالأعبيهم ومؤمناتهم..... والعرب في كبوتهم وغفوتهم يتمددون لكن إلى أين؟.... للأسف إلى السرير.

مرحلة استئناف التمدد الإيراني اصطاحت إحدى الصحف الإيرانية تسميتها مرحلة الأمل لوصف الحقبة القادمة؛ فهي مرحلة البناء والنهضة والعلم حسب تصورهم؛ والواقع العربي حسبما هو عليه يعني من دمار وفوضى، وهذا أعاد بالذاكرة إلى مسلسل كرتوني كنا نتابعه ونحن أطفال اسمه "عدنان ولينا"، وأحداثه تتلخص حول انهيار العالم ولا عاصم إلا جزيرة الأمل؛ الملجأ الوحيد للبشرية، فهل تعتبر إيران نفسها جزيرة الأمل بعد تدمير العالم العربي، والجلوس على أنقاضه؟.

مشروع بدء مرحلة الأمل، هو ما طالعنا به إيران كعنوان رئيس لها صيحة الاتفاق النووي؛ فقد عنونت صحيفة ابتكار الإيرانية صفحتها الرئيسة بهذا العنوان، لقد استعرض الخبر ما تحقق خلال المفاوضات مع الغرب، وقالت إن البساط - بموجب الاتفاق مع الغرب - سُحب من تحت أقدام الأعداء، وأنه قد بدأت مرحلة التفاهم مع إيران على القضايا الكبرى. وأضافت أن الخاسر الأكبر في هذا الإنجاز النووي هو الكيان الصهيوني وبعض الدول الحليفة له في المنطقة، وفي مقدمتها السعودية. وأكدت على أن المنطقة ستشهد تطورات كبرى وجديدة، مؤكدة على أهمية استغلال الفرص الكبرى لتحقيق أهداف الشعب الإيراني، وأكدت على أن قطار التنمية يجب أن يسير منذ اليوم على السكة الحقيقة للوصول إلى بر الأمان، ولابد من شحذ الهم لامتلاك ناصية العلم والتقدم والتطور لإكمال مسيرة الأمجاد الإيرانية، فالشعب الإيراني سيمضي قدماً في إستراتيجياته الداخلية والخارجية ومسيرة البناء الحضاري، والإنتاج العلمي والتطور الاقتصادي الذي بدأ.

أعلنت القوى العالمية السبع الكبرى في العاصمة النمساوية فيينا، توصلها لاتفاق بشأن البرنامج النووي الإيراني ورفع كامل الحظر عن إيران؛ وهو الحظر الذي بدأ الغرب بفرضه على إيران منذ أكثر من ثلاثة عقود ونصف. وبهذا الإعلان الذي وقع عليه السبع الكبار: الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين والمانيا وإيران؛ أُسدل الستار على ماراثون المفاوضات الصعبة التي استمرت ما يقرب من اثنى عشر عاماً، وجاء اليوم الموعود لبوابة جهنم الإيرانية للمنطقة.

المرحلة الأولى من مشروع الأمل الإيراني (تجربة تاريخية مريرة)

بادئ ذي بدء لاشك بأن مشروع الأمل الإيراني ومنذ نشأته كان يشكل ويجسد خنجرًا تأمرياً في جسد الأمة الإسلامية: تاريخياً تُعتبر الامبراطورية الفارسية آخر الامبراطوريات التي تأسست منذ نشأتها الأولى على التوسيع والاستغلال، وشن الحروب ضد الدول المجاورة، وكان نصيب العرب من تلك الأطماع نصيب الأسد؛ بسبب الجوار الجغرافي، والتراث

الفارسي الحاقد عليهم، واختلاف المحرك الأساسي والإيدولوجي لهذه الإمبراطورية، فكانت العرقية الآرية، والديانة الزردشتية، والإرث الإمبراطوري زمن بعض السلالات الفارسية السابقة هي المحرك الأساسي للتوسيع والهيمنة الإيرانية، واليوم وبالنسبة للجمهورية الإسلامية فإن المحرك الأساس هو المذهبية الصفوية، يضاف إليه كل ما ذكر من إرث إمبراطوري ومن استعلاء عرقي، والإرث الإمبراطوري من العوامل التاريخية التي أدت للتحالف بين إمبراطورية الفارسية والقوى الأخرى، ولا شك بأن هدف الفرس الظبيرون دوماً إلى تحقيقه عبر التاريخ كان يركز على مسألة استرجاع مجدهم القديم المغتصب، وبالتالي إقامة دولة فارسية متميزة الخصوصية في مظهرها وحقيقة، وقد كان وما زال استهداف الدول العربية يمثل أولى أهدافهم.

لقد تغير الأمر كثيراً بعد معركة القادسية، التي نشبت بين حضارتين دولتين، هي الدولة الإسلامية الناشئة والمستندة على دين سماوي يريد إشاعة عبادة الله بدلاً من عبادة البشر، فكانت معركة القادسية الشرارة الأولى التي زرعت في نفوس الفرس حقاً تاريخياً لم تزله قرون طويلة عاشوا تحت راية الإسلام.

في الحقيقة إن الفتح الإسلامي لبلاد فارس لم يكن سهلاً على الإطلاق؛ حيث أمضى المسلمون نحو عشرة أعوام في حروب متقطعة مع الفرس، ولم يتم فيها سوى فتح جزئي، فكثيراً ما كانت الأقاليم المفتوحة تعلن تمدداً خصوصاً من جانب القادة العسكريين الفرس بعد أن صالحوا العرب.

ترى الكثير من الدراسات الفارسية أن حضارة بلاد فارس توقفت قرنين من الزمن؛ وذلك بسبب استيلاء المسلمين العرب الفاتحين الذين أوقفوا تطور الحضارة الفارسية، حيث شبهوا الفتح الإسلامي لبلاد فارس كغزوات المغول والإسكندر، ثم استمرت عملية مواجهة الفتح الإسلامي تباعاً وضمن مخطط مدروس.

وقف مشروع الأمل الفارسي كذلك إلى جانب الثورات التي خرجت على الدولة الإسلامية.

ما دمنا نتحدث عن الأدوار التي اضطلع بها الفرس لمحاربة الدولة الإسلامية. أما الأمر الخطير على الصعيد الدولي فقد كانت مشروع الأمل الإيراني كما لاحظنا، وعلى مر السلالات التي حكمتها منذ نشأتها ولغاية اليوم، حاضرة إلى جانب أعداء الأمة في جميع حروبها ضد أعدائها؛ لاسيما الدول العربية، حتى وصل الأمر بكثير من المستشرقين الذين درسوا إيران إلى القول: لو لا الصفويون لكان نقرأ القرآن في أوروبا كما يقرأه الجزائريون، ولو لا الصفويون لكان أوروبا وشعوبها تحت سيف الإسلام واستعمار العربية، والتجربة العربية مع مرحلة الشاه والثورة الإسلامية التي لازالت تحكم إيران أدهى وأمن، خصوصاً بعد نجاح إيران في بناء المجال الحيوي بصيغته المذهبية، ونجاحها منقطع النظير بتجهيز الوضع الإقليمي. فسبحان الله ما أشبه اليوم بالأمس، فالتاريخ يعيد نفسه هذه المرة، مع دوران عجلة الزمان وتصارييفه.

المرحلة الثانية من مشروع الأمل الإيراني (الاتفاق النووي ورفع العقوبات)

عنوانه: مزيد من دعم محور الممانعة، وتعزيز وضع الأقليات الشيعية في العالم العربي: وجهة نظر إيرانية خاضت إيران -حسب تعبيرها- مفاوضات صعبة مع الدول العظمى في العالم، التي حاولت انتزاع التنازلات من إيران، على غرار التنازلات التي كانوا ينتزعنها بسهولة في مفاوضاتهم مع دول العالم الثالث، إلا أن النموذج الإيراني، لم يكن كغيره من الدول، حيث استطاعت إيران أن تفرض نفسها كقوة إقليمية عظمى لها تأثيرها في إحدى أهم المناطق حيوية في العالم، وهي تفاوض من منطلق قوة، وليس من منطلق ضعف، من أجل الأمر الذي دفع دول الـ 1+5 للتمديد تلو التمديد للمفاوضات، إشارة منهم إلى رغبة الغربية من أجل إتمام الاتفاق، وهي لا تقل طبعاً عن الرغبة الإيرانية لتحقيق أهدافها، والتي يأتي في مقدمتها تعزيز قوتها للتفرغ لقيادة الإقليم.

تقول طهران إن جميع الدول السبع خرجت راضية من المفاوضات، وكان الاتفاق عادلاً إلى حد كبير. وإذا كان المحور

الرابح فيه هو المحور الروسي الصيني الإيراني، وإن الدولة الأكثر ربحاً هي إيران؛ فإن المحور الغربي لم يكن خاسراً، ويعتقد أنه خرج بمكاسب على مستوى الأمن العالمي والشرق أوسطي؛ فضلاً عن المكاسب الاقتصادية.

أما المحور الذي يعد نفسه خاسراً في هذا الاتفاق العالمي؛ فهو المحور العنصري الطائفي الذي يعادي إيران من منطلقات إيديولوجية؛ والذي تقوده إسرائيل وال سعودية حسب قولهم!!!

والسؤال ما هي العوامل التي دفعت الدول الست للوصول لاتفاق النووي حسب ما طرحة إيران؟

الجواب البديهي عن هذا السؤال، يمكن في البديل لاتفاق، أي الحرب، وهو الخيار الذي لا يرغبه أحد، حيث تعني دول الـ 1+5 وعلى رأسها أمريكا مغبة أية مواجهة مسلحة مع إيران، ولو أنها كانت قادرة على شن أية حملة عسكرية لتدمير المنشآت النووية وكانت أقدمت على ذلك بالفعل كما فعلت في العراق وأفغانستان، لكن القوة الدفاعية الإيرانية، كانت الحال أمام استبعاد الخيار العسكري، بالرغم من التلویح به عدة مرات، حيث تمت إيران القدرة على ضرب المصالح الأمريكية الحيوية في المنطقة، كما أن الكيان الإسرائيلي الحليف الاستراتيجي لأمريكا لن يكون بمنأى عن الانتقام الإيراني.

ومن مصادر القوة التي أسهمت في صمود إيران في المفاوضات النووية، هو أن منشآتها النووية قد تأسست بتقنية محلية غير مستوردة، وبأيدي علماء نوويين إيرانيين، الأمر الذي فرض أمراً واقعاً على الدول الغربية في تعاملها مع الملف النووي الإيراني، إذ أن تدمير المنشآت النووية في - حال وقوعه - لن يدمر المشروع النووي الإيراني، بل سيؤخره فحسب.

ومن ناحية أخرى فإن المكانة التي تتبوأها إيران على الساحة الإقليمية والدولية ووقوفها في مصاف الدول صاحبة التأثير والنفوذ في حل قضايا المنطقة، يجبر القوى العالمية على التفاوض معها من موقع الند، ويجعل من الصعب على هذه الدول إملاء الشروط، على دولة إقليمية عظمى تلعب دوراً مؤثراً في إحدى أهم المناطق حيوية في العالم. ويشهد على الدور البارز لإيران في حل قضايا المنطقة وتأمين استقرارها، وقوفها في وجه تمدد الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، حيث تعرف المصادر الغربية بأن الدور الإيراني في تشكيل القوات الشعبية في العراق وسوريا وتدريب وتقديم الدعم الاستشاري لهذه القوات، هو الذي منع تنظيم داعش الإرهابي من الوصول إلى بغداد وتهديد الدول الأخرى.

ينطوي على هذا الاتفاق - حسب ما تدعيه إيران - إحداث تحولات أساسية في المسارات السياسية الشرق أوسطية العالمية؛ حيث تروج طهران أن هذا الاتفاق قد حقق الاعتراف بها كقوة سياسية عالمية؛ إلى جانب القوى الست الكبرى: أميركا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين وألمانيا. وهو اعتراف لم يقدم لإيران هدية على طبق من ذهب؛ بل انتزعته إيران انتزاعاً بمقاومتها وصبرها وحنكتها وقدراتها الذاتية. وسيترتب على هذا الاعتراف تكريس وجود إيران شريكاً متكافئاً مع روسيا والصين في محور شنغي من جهة، وإعادة توزيع مناطق النفوذ بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران من جهة أخرى؛ إذ سيكون هناك نوع من التفاهم المتبادل بشأن الصراعات بين الطرفين في الشرق الأوسط، والحضور الإيراني في آسيا الوسطى وأفريقيا وأميركا اللاتينية؛ مما سيساهم بقوة في تخفيف بؤر التوتر؛ ولا سيما في النقاط الملتهبة في منطقة المشرق العربي؛ كأفغانستان والعراق والبحرين وسوريا ولبنان واليمن.

وتبشر طهران بأن الاعتراف بها قوة نووية وعلمية وเทคโนโลยية عالمية؛ وما يترتب عليه من تعاون دولي شامل على هذا الصعيد؛ سيحقق لإيران قفزات علمية إضافية كبيرة في جميع المجالات؛ بالنظر لدخول التكنولوجيا النووية في معظم مجالات الحياة.

كذلك سيسمح هذا الاتفاق في عملية التحول في اقتصاديات منطقة الشرق الأوسط وأوروبا وشرق آسيا وروسيا؛ إذ أن رفع الحظر عن إيران؛ سيؤدي إلى مداخيل إضافية لإيران لا تقل عن مائة مليار دولار سنوياً، وانتعاش غير مسبوق للاقتصاد والصناعة والتكنولوجيا في إيران، وتحولها إلى مركز لحرك اقتصادي عالمي جديد وتعاون صناعي وتقني يمتد من

شرق آسيا وروسيا إلى أوروبا عبر إيران؛ ما يؤدي إلى انتعاش لاقتصاديات كل هذا المحور. ومن هنا ظلت روسيا والصين وفرنسا وألمانيا تسقط مصالحها الاقتصادية مع إيران في المفاوضات وفي إعلان الاتفاق؛ لأنها تطمح إلى تعاون صناعي وتجاري مميز مع إيران. كذلك سيؤدي إلى عودة المحور الشرقي عبر منظمة شنغهاي التي تضم روسيا والصين وإيران ودول أخرى؛ إلى قوة عالمية سياسية واقتصادية وعسكرية؛ مقابل المحور الغربي الذي تقوده أميركا؛ مما سيحد من الهيمنة الأميركية على القرار العالمي، ويفرض التكافؤ في القوة بين المحورين.

وهذا ما يفسر دعم روسيا والصين لحليفهما إيران في المفاوضات؛ لأن خروج إيران منتصرة نسبياً من المفاوضات؛ سيقوى محور شنغهاي؛ وسيتحقق لروسيا والصين أيضاً نفوذاً إضافياً على كل الصعد.

أما الأمر المثير الذي بشرتنا به طهران حول نتائج هذا الاتفاق، فهو أنه سيسهم في انتعاش محور الممانعة والمقاومة في الشرق الأوسط، وتقويته سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتوسيعه جغرافياً واجتماعياً، والإذعان بوجوده في إطار المركزية الإيرانية؛ مما يعطي لحماية إيران لحلقات هذا المحور في العراق واليمن وسوريا ولبنان وفلسطين؛ مشروعية سياسية إقليمية ودولية.

وبه تزف إيران بشري سطوع نجم الشيعة العرب، حيث صرحت بأن إحدى ثمرات هذا الاتفاق ستتعكس على محور الممانعة الذي تقوده إيران وعلى شيعة المشرق العربي؛ ولا سيما شيعة العراق والسعودية والبحرين واليمن ولبنان، وستخاف عنهم الضغوطات الطائفية؛ الاجتماعية والثقافية والإعلامية والسياسية والإرهابية تدريجياً؛ ولا سيما من الدول والجماعات التي تستهدف الواقع الشيعي؛ كالسعودية وقطر وتركيا والأردن والقاعدة والنصرة وداعش والبعث.

إذاً هو تدشين لاستئناف رحلة الأمل مع إيران، والتي لطالما بشر آياتها ومراجعها العظام مقولة نبأ قرب ظهور إمام الزمان، وهو يحمل الراية السوداء ومخطوط عليها ويل للعرب... من شر إيران الذي اقترب،،،

مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: